



زيتون في معصرة الثورة بعد شهور انتظار، طلع علينا الأسد بخطاب هزيل يحكي فيه عن انجازاته في سوريا العظيمة و يتبااهي أنّ سوريا في عصره أصبحت من أفضل دول العالم في إنتاج الزيتون، من أجل ذلك أحرق رامي مخلوف عشرة آلاف شجرة زيتون في إدلب لصاحبها غسان عبود لأنّه رفض مشاركته علىأسهم قناته الفضائية، إذ لا ينبغي لمستثمر أن يفرّ من قبضة الاستغلال في سوريا، و من أجل أهمية الزيتون صرّح الأسد أنّ ما يجري في حمص من قلاقل سببه شجار بين تجار سوق الهاال في حمص، ربّما كانوا مختلفين حول (قبان) الزيتون.

فلا غرابة أن يصبح الزيتون رمزاً للثورة السورية المباركة لأنّ مشعل الحرية أوقّد من شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية و لا غربية، يكاد زيتها يضيء و قد بدأت جذوته تتقّد في درعا الجنوب، و تأجّجت حتى حمل مشعلها القاسي و الداني في سوريا. و اليوم يطلّ النور قادم من الجنوب من أرض اليرموك، من بين شوكه أزهر الصبار. حمل مشعله فلسطينيون، إخوة لنا في الكفاح و النضال ضد الاحتلال. أدركوا و هم أقدر الناس على فهم سيكولوجيا الذّبّح، أنّ الأسد و إسرائيل وجهان لعملة واحدة، و أنّ الممانعة لم تكن إلّا محض كنبة أغرقهم الأسد في أوهامها سنين و سنين. أنشأ مخيّم اليرموك عام 1957 لتوفير الإقامة والمسكن للاجئين الفلسطينيين في سوريا. يعتبر أكبر تجمع للاجئين الفلسطينيين في سوريا و يقع على مسافة 8 كم من دمشق داخل حدود المدينة. لم تقتصر الحياة فيه على الفلسطينيين فقط بل هناك عائلات سورية كثيرة تسكن في المخيّم، توجد فيه مقبرة شهداء الثورة الفلسطينية، و فيها قبور لأبرز القادة في تاريخ الثورة الفلسطينية كأمير الشهداء خليل الوزير أبو جهاد، و أبو الوليد، و أبو العباس والكثير من الشهداء من أبناء هذا المخيّم الذين قدموا التضحيات لفلسطين. و اليوم يقف أصغر أطفال اليرموك ليقولوا قولتهم: نموت واقفين لتحيا سوريا حصن اللاجئين. يعبرون عن تضامنهم مع شعب سوريا الثورة، سوريا الحرية، سوريا العزة و الكرامة، و يعبروا عن بغضهم لنظام ممانعة منافق حال بينهم و بين فلسطينيّهم نصف قرن من الزمن، و تاجر بدمائهم و أعراضهم باسم الصمود و باسم المقاومة، ليكشف زيفه اليوم جهاد مقدسي بكلمات صدق فيها وهو الكاذب أنّ نظام حكومته يعتبر الفلسطينيين ضيوفاً أساوّوا أدب الضيافة و قد حقّ عليهم العذاب. لأجل ذلك امتدت المؤامرة الأسدية لطال رقاب الفلسطينيين و تشعل فتيل المناحرات بين صفوفهم ليجرّ المنطقة كلها إلى ساحات الفتنة التي يرعى بزرعها كما لم يرع أحدٌ من قبل. اشتعلت المخيّمات الفلسطينية في دمشق

أخيراً و تأجّجت حالة من الغليان بعد مجزرة أمس التي راح ضحيتها عدد من الأخوة الفلسطينيين ، وقد خرج أهالي مخيمي اليرموك وفلسطين في مظاهره عارمة من مسجد فلسطين قدرت بعشرات الآلاف للتنديد بالمجازر الوحشية التي ترتكبها عصابات الإجرام الأسدية بحق الشعبين الشقيقين ونادت بإسقاط الأسد ، و أكدت على تضامن الشعب الفلسطيني مع الشعب السوري ووقوفه إلى جانبه ضد الأسد الطاغية. لا أحد يعرف حقيقة نظام الممانعة الأسدية كما عرفه الشعب الفلسطيني الذي ذاق الأمرّين من مؤامرات هذا النظام على القضية الفلسطينية ومتاجرته بها طيلة نصف قرن من الزمن ، فأخذ يرتكب المجزرة تلو الأخرى بحق شعبنا الفلسطيني لاسيما في لبنان، فالجرائم الوحشية والمجازر الدموية الشهيرة التي ارتكبها نظام الممانعة في الثمانينات بحق شعبنا الفلسطيني في المخيمات الفلسطينية في لبنان ومن أشهرها مجازر مخيمي عين الحلوة وتل الزعتر لم تفعل مثلها إسرائيل حتى عند اجتياها للبنان عام 1982 . ومن أبغض تلك الجرائم التي شهدتها العصر الحديث حصار حافظ الأسد للمخيمات الفلسطينية وترك أهاليها يموتون جوعا ، فبعث ياسر عرفات برسائله إليه ينادي فيها بفك الحصار عنهم لأنهم أصبحوا يأكلون الكلاب والقطط ، فأجابه الطاغية : " سأجعلكم عبرة للتاريخ " ، فأجابه عرفات : " عرفنا الآن أنك أداة إسرائيلية "، و اليوم فهمها القاصي و الداني فهب الشعب الفلسطيني ليقول كلمته لن نهدأ حتى إسقاط النظام وسنحاسب كل من يقف إلى جانبه من قوى وأحزاب الممانعة العميلة وفي مقدمتها الخائن أحمد جبريل شيطان المخيمات الذي تم تدجينه في فروع الأمن السورية ليكون اليد الطويلة لهم في المخيمات وقد لعب دوراً قذراً في تحريض الفتنة وسفك دماء الفلسطينيين. ولم يمض زمن طويلاً بعد على اغتيال القيادي في حماس كمال غنّاجة المعروف باسم نزار أبو مجاهد، و هو قيادي من الصّفّ السريّ، قُتل على يد الشبيحة في بيته في قدسيا، حين جاء في زيارة مؤقتة لسوريا، بمحاولة من النظام الأسد الغاشم لإيصال رسالة إلى قيادة حماس التي يعتبرها ناكرة للجميل. وجد كمال غنّاجة مقتولاً في بيته و عليه آثار تعذيب، و ملقى في سقيفة المنزل، و حاولوا أن يحرقوا بيته لإخفاء آثار جريمتهم البشعة فشاء القدر إلا أن يفتخروا، و نعته حماس قائلة في بيانها: "لقد قضى غنّاجة عمره عاملاً في صفوف حركة حماس وفي خدمة قضيته وشعبه" ، وأكّدت حماس أنَّ دماءه لن تذهب هرّاً. وغادر العديد من قادة حركة حماس العاصمة السورية دمشق، و هي مقر مكتبهم الرئيسي، بعد تفجر الأوضاع السياسية هناك. وامتدّ طغيان الأسد على الفلسطينيين حتى وصل إلى مخيماتهم في لبنان. ألا تكفي ستة عقود من المؤسّس البشري الفظيع، و القهر السوري الذي عاشه الفلسطينيون في نهر البارد وعين الحلوة؟ ألا يكفي متاجرة بالهوية الفلسطينية حتى من قبل الفلسطينيين أنفسهم؟ العرب بثرواتهم المختزنة و إسرائيل بعقل غولدا مائير و بن غوريون و سادة العالم النُّجب من القطب إلى القطب، كلّهم يشاركون بتحرّيك الخيوط السوداء لمسرح الكوميديا السوداء. من صائب عريقات، ذو الوجه البارد الذي يختزن ثقافة الإفلات العربي، إلى اسماعيل هنية الذي أقام دولته المستقلة في غزة، إلى محمود عباس الذي لا يعلم أحد على أيّ وسادة يتّكأ حالياً، كلّهم تدخلوا في مساعي لمعالجة الأزمة، و ردّدوا كعادتهم الببغائية حول العلاقات اللبنانيـ الفلسطينيـة، دون أن يشيروا و لو بالبنان إلى مخرج المسحية و مُنتجها الحصريّ. ما تقوم به حكومة الأسد المجرمة من زرع الفتن - و هو الفنّ الوحيد الذي تتقنه إلى حد الفضيحة - إنّما يهدف إلى تصدير الأزمة السورية إلى خارج سوريا بعد أن فقدت السيطرة عليها داخلياً. إنَّ اختلاق أزمات كأزمة المخيمات الفلسطينية و أزمة استهداف الطائرات التركية وقبلها أزمة اختطاف الرهائن اللبنانيـة، إنّما يهدف إلى تشويه الإعلام العالمي، و صرفة عن واقع المأساة كمن يرمي بالعظام إلى الكلاب، ليحتفظ لنفسه باللحام الخالص ليتلذذ بشوائه على نار الطائفة و يقدمه وجبة دسمة لبشر من الدرجة الثانية أو العاشرة اختلت جيناتهم الوراثية لكثرة ما اعتادوا أكل الخبيث. لقد تحول اليرموك إلى ساحة تحرير كما تحول مخيم نهر البارد إلى ميدان تحرير قبل 15 يوماً. وقد خرج آلاف الفلسطينيين في اليرموك أمس في تظاهرات حاشدة وهتفوا للحرية و لإسقاط النظام الأسدية و كنبة المقاومة و الممانعة، و لعنوا روح طاغية الشام و أنسدوها "سكابا يا دموع العين" ، و عشرات الهتافات و الأناشيد الثورية و حملوا أعلام فلسطين و

الثورة السورية المباركة. هذه هي روح التضامن العربي الذي نتمناه و نؤمن به، حصدنااليوم قطاً لبذور غرسناها في تربة صالحة، فهل ينسى الفلسطينيون أخوة لهم احتضنوه و كانوا عونا لهم في زمن الطغيان؟ لا يطرح النخيل إلا ثمراً طيباً، و لا ينضج الزيتون إلا زيتاً مباركاً نسرج به مشاعلنا لنمضي معاً في ساحات الحرية وصولاً إلى القدس الشريف. ومحال أن ينتهي الزيتون يا فلسطين الحبيبة. عاشت فلسطين حررة أبية، عاشت سوريا ويسقط الطغيان.

المصادر: